ضغط التخوم على بلاد بابل وآشور (دراسة في التشكل السياسي)

أ.م.د. حسين سيد نور جلال الاعرجي م.م مصطفى كاظم سهل الغزي
كلية التربية / جامعة واسط

المُلخص

يُقصد بالتخوم المناطق الحدودية لأي بلد، وتُعد التخوم المحدد الرئيس لتشكل وقولبت الكيانات السياسية عبر الحضارات الإنسانية.

إذ برز أثر ضغط التخوم وتحدياتها بشكلٌ جلّي في مسّار تاريخ بلاد الرافدين، وذلك من خلال استثارتها لقوى الإبداع الكامنة داخل الإنسان العراقي القديم ذو الطبيعة الايجابية، وإظهاره استجابات مختلفة ساهمت في نشوء الكيانات الحضارية ونموها وازدهارها.

وقد تباينت تلك التحديات وانعكاساتها ونتائجها من جزء إلى آخر تبعاً للطبيعة الجغرافية والأقوام المجاورة، إذ اختلف ضغط التخوم بين بابل وآشور، كما اختلفت انعكاساته ونتائجه وأثرهما في تشكل وقولبت الطابع الفكري والنفسي للفردين البابلي والآشوري، ما أسهم في تمايز التشكل السياسي بين الجانبين.

Abstract

It is meant borders of any country areas with the word boundary, and It is the main determinant of form and the mold of the political entities across human civilizations.

The effect of the pressure of boundary and challenges clearly cleared in the course of the history of Mesopotamia, through provoking the forces inherent creativity within the old Iraqi man who had a positive nature and who showed different responses contributed to the emergence of cultural entities and their growth and prosperity.

These challenges and impacts and results has varied from one part to another, depending on the geographical nature of the neighboring tribes, with different pressure boundary between Babylon and Assyria, just like the variation of the implications and consequences and impact upon forming and molding of the intellectual and psychological character of the Babylonian and Assyrian man which contributed to the differentiation of the political conformation between the two sides.

المقدمة:

تناول توينبي، في نظرية التحدي والاستجابة، عدداً من المحفزات الكفيلة باستثارة البشر، ودفعهم إلى إظهار استجابة كفيلة بنشوء الحضارة، ولاسَيما حافز "ضغط التخوم"، إذ تناول ذلك في شاهدين من حضارة بلاد الرافدين، هما بابل وآشور.

التخوم بالأكدية (***tah̬ h̬ ummu/tah̬ ū̬mu***) وتعني المناطق أو الأراضي أو الأقاليم الحدودية[١]. وباللاتينية (Frontier)، التي تعني منطقة اتصال[٢].

أولى المختصون اهتماماً خاصاً لمسألة التخوم، من حيث كونها عامل وصل مكن بعض الجماعات البشرية من تجاوز أماكن سكناها بحثاً عن مكان آخر، أو على غير ذلك انعكس سلباً، كون بعض المجموعات البشرية تتجاوز نطاقها، والانتقال إلى أماكن أخرى بسبب وعورة التخوم وصعوبة العيش فيها[٣]. كما إن الدول عند أطرافها تتاخم مناطق ومجموعات سكانية لا تتبع لقوانينها ولا تعترف بالتبعية لسلطتها، لذا يتطلب الأمر من السلطة أن تحشد قواها وتكثف جهودها، على تلك التخوم، فتشيد التحصينات الدفاعية المختلفة، التي توفر نطاقاً مميزاً تقيم الدولة وظائفها المختلفة بداخله، مما ينعكس على حياة مواطنيها للعيش بطمأنينة[٤].

إذ تتجلى أهمية التخوم في أنَها شرارة حرب أو عيش بسلام[٥]. وهمزة وصل وتواصل بين الجماعات البشرية عبر التاريخ، أما تصبح عامل ضغط وتجلب النزاعات لساكنيها، أو تغدو مواضع اتصال سهلة[٦].

اقتضت الحاجة أن يُقسم البحث إلى ثلاثة محاور، كالآتي: الأول يتناول الموقع الجغرافي لبلاد الرافدين وتحدياته، والثاني ضغط التخوم على بابل، وجاء المحور الثالث ليتناول ضغط التخوم على بلاد آشور.

أولاً: الموقع الجغرافي لبلاد الرافدين وتحدياته

تنوعت الحياة على أرض الرافدين بتنوع أقاليمه المناخية والجغرافية[٧]. لكل إقليم أو منطقة شخصيتها المميزة لها[٨]، والتي اكتسبتها من تأثر السكان بالعوامل الجغرافية المختلفة[٩].

للموقع الجغرافي الأثر البالغ في تحديد مستوى وطبيعة التحديات لأي رقعة جغرافية، وذلك يؤثر في نشوء الحضارة واستمرارها. وبحسب رأي جوردون إيست في الموقع الجغرافي، فأنه: "تعد خصائص موقع أي مكان خلال العصور التاريخية على جانب كبير من الأهمية، لأنها إذا أضيفت إلى بعض المميزات الجغرافية الأخرى فسيكون لها بعض التأثير على سيره التاريخي"[١٠].

يقع العراق في جنوب غرب قارة آسيا[١١]، ويشغل الأطراف الشمالية الشرقية من الوطن العربي[١٢]. ويمثل بموقعه القلب النابض للشرق الأدنى القديم (Ancient Near East)[١٣]، الذي تمثل بلدانه آنذاك العالم القديم[١٤]. وقد أثر الموقع الجغرافي[١٥]، في نشأة وتركيبة سكانه، فضلاً عن "تحديد قدراته العسكرية – الدفاعية والهجومية"[١٦]. إذ إن الجغرافية توجه سياسية الدولة وتحدد مساحتها، فضلاً عن قوتها الأرضية[١٧]، (الجيوبولتيكس) Geopolitics[١٨].

للموقع أهميته الكبيرة للحضارة التي ازدهرت ونمت في بلاد الرافدين[١٩]. إذ أسهم الموقع في خلق العديد من التحديات الطبيعية والبشرية لسكانه، دفعتهم لإظهار استجابات تديم الزخم الحضاري لبلاد الرافدين.

إن أولى تلك التحديات التي أوجدها الموقع، وقوعه بين منطقتين فقيرتين من حيث الموارد الطبيعية، هما المنطقة الجبلية التي تحده من الشرق والشمال الشرقي، والمنطقة الصحراوية المقفرة وبادية الشام، التي تحده من الغرب والشمال الغربي والجنوب الغربي، ولا يفصل ذلك السهل عن تلك المناطق سوى نهر دجلة من الجهة الشرقية ونهر الفرات من الجهة الغربية[٢٠]. فنشأ صراعاً مثلثاً بين الحضر المستقرين في الحواضر (سكان بلاد الرافدين)، وبين البدو المتنقلين في البادية وبين أهل الجبال المعتادين على حياة أصعب وأقسى[٢١]. مما جعل بلاد الرافدين محط أنظار تلك الأقوام الفقيرة، وبالتالي أصبح مسرحاً لعدد من الموجات السكانية المهاجرة بحثاً عن سبل العيش، إذ وفدت إليه من الشمال والشمال الشرقي أقوام عديدة من أصول (هندو – أوربية) تمثلت في (الكوتيين، اللولوبيين، الميديين، الكاشيين، الحوريين)، ومن جهة الغرب اندفعت نحو أراضيه الخصبة هجرات عدة تمثلت بالأقوام السامية ومنهم (الأكديين، الأموريين، الآشوريين، الآراميين)[٢٢]. التي استغلت انعدام الموانع الطبيعية في الجهة الغربية لبلاد الرافدين[٢٣]، إذ لم يكن أمامهم سوى حاجز مائي هو "نهر الفرات"[٢٤]. تلك التحديات كان لها الأثر الكبير تكون البنية النفسية والذهنية للإنسان العراقي القديم، إذ جاء في أحد أمثاله القديمة:

"لن يترك العدو بوابة مدينة ضعيفة السلاح"[٢٥].

بسبب انعدام الموانع الطبيعية التي تحول دون دخول الأقوام[٢٦]. شَكَلَ ذلك التباين في تضاريس بلاد الرافدين ضغطاً خارجياً على كياناته السياسية عبر التاريخ، إذ كان إقليماً مفتوحاً تسهل الهجرة إليه وغزوه إن لم يوفر سكانه الحماية اللازمة لحدودهم[٢٧]. فمنذ القدم اندفعت الأقوام إلى داخل البلاد للسيطرة على أراضي ووديان السهول الخصبة[٢٨].

إن ذلك الموقع المفتوح أحال تاريخ بلاد الرافدين إلى سلسلة من الحروب والصراعات السياسية، لكنها لم تعرقل مسيره التاريخي، الذي اتخذ طابع الثبات إلى حدٍّ ما، بفضل تواجد الحكومات المتواصلة على الرغم من بعض الاختلافات في شكل السلطة والأقوام الحاكمة، وكل ذلك راجع إلى عبقرية الإنسان العراقي القديم، ونوع الاستجابة التي أظهرها كرد فعل للتحديات البيئية والسياسية والعسكرية المختلفة[٢٩].

في ظل ذلك الموقع الجغرافي المنفتح على العالم الخارجي[٣٠]. بيولوجية الإنسان حتمت عليه حماية نفسه[٣١]. فاتخذ من فن الأسوار والتحصينات الدفاعية بمختلف أنواعها وسيلة لمواجهة التحديات المتمثلة بالكوارث البيئية والأخطار البشرية والحيوانية المختلفة، ولتوفر له الأمن والطمأنينة النفسية وتحقق له الأفضلية الدفاعية على الأعداء المهاجمين لمدنه[٣٢].

تحفز الملوك العراقيون القدماء على تولي زمام الاستجابة بإقامة الأسوار والتحصينات الدفاعية حول مدنهم، منذ عصور مبكرة[٣٣].

تبرز أهمية الاستحكامات الدفاعية في بلاد الرافدين من خلال كثرة الأعمال العمرانية – الدفاعية التي أنجزها الملوك العراقيون القدماء لتأمين مدنهم، إذ جاءت بالمرتبة الأولى بالنسبة لأعمالهم العمرانية، التي زادتهم فخراً أمام آلهة مدنهم الخاصة وأمام الأجيال في المستقبل، وأرخوا بها سني حكمهم[٣٤].

أدرك سكان بلاد الرافدين إن نمو الحضارة يتطلب حمايتها من الاضطرابات الخارجية[٣٥]. لذا سخروا ما امتلكوه من فكر جغرافي في مسألة تخطيط المدن[٣٦]، واختيار مواقع مدن محصنة بشكل جيد، سواء كان ذلك التحصين طبيعياً أو مشيد عمرانياً[٣٧]، لكي تقدم الحماية والأمان والطمأنينة للسكان الذين بداخلها، كما تتيح لهم إمكانية الدفاع عنها بشكل ممتاز[٣٨]. وهناك الكثير من النصوص تظهر أهمية الوظيفة الدفاعية للأسوار في المدن العراقية، كما في النص الآتي الذي يصف مدينة نفر (Nippur):

"المدينة ! يشع وجهها بالهول !

أسوارها ! الإله نفسه لا يقترب منها !

وخلف أسوارها هدير وهتافات المتعطشين إلى المعركة،

هتافات الحشد العسكري !

إنها شرك للبلدان العدوة،

إنها تصيدهم بالفخ والشبكة !"[٣٩].

وهناك نص آخر يصف هيبة وعظمة أسوار مدينة أكد (Agade):

"لقد كانت أسوارها تطاول السماء كالجبال الشاهقة"[٤٠].

وفي نص للملك حمورابي – Hammurabi يصف فيه سور مدينة سبار (Sippar)، عندما أعاد بنائه:

"كان مثل الجبل العظيم"[٤١].

لذا فان اهتمام العراقيين القدماء في بناء الأسوار تُمثل استجابة جيدة لتحدي تمثل بالأخطار التي سببتها الأقوام المجاورة، وسعي الإنسان العراقي القديم إلى الوصول لحالة الطمأنينة التي طالما كانت هدفاً له.

ثانياً: ضغط التخوم على بابل

امتلك سكان بلاد الرافدين القدماء فكر جغرافي جيد، تمثل في وضع العوامل الطبيعية والبشرية في الحسبان عند اختيار موقع مدينةٌ ما، وعرفنا إن أهم عوامل اختيار المدن العراقية القديمة، الموقع الدفاعي، إذ كان يفضل أن يكون الموقع محمي ومحصن دفاعياً، أو موقع يمكن ساكنيه من الدفاع عنه في أوقات الخطر[٤٢]. فمدينة بابل[٤٣]، حين اختارها الأموريين عاصمة لهم[٤٤]، راعوا في موقعها الجانب الدفاعي، الذي توفره لهم الطبيعة، إذ كان موقعها محمي طبيعياً إلى حد ما، فمن الجنوب تحميها أهوار سومر، ومن الشمال والشرق تحميها القنوات والفروع التي تخرج من نهر الفرات باتجاه نهر دجلة[٤٥]. والتي كانت تستخدم للدفاع عن المدينة في أوقات الخطر، وتستثمر تجارياً أيام السلم[٤٦]. ومن الغرب يحميها نهر الفرات[٤٧]. إذ يخترقها من الشمال إلى الجنوب ليقسمها إلى قسمين[٤٨]. ويستطيع البابليون أن يرفعوا جسور أحدى الفروع المائية، ويخفضوا الآخر، وهكذا تفيض المياه وتصبح مدينة بابل محمية بالمياه من الشمال والشرق[٤٩]. فكان اختيارها موفقاً للغاية، إذ وقعت وسط أكثف مراكز العمران آنذاك في بلاد الرافدين[٥٠]. أي أنها احتلت موضع محمي[٥١]، إلى حد ما[٥٢]. وعلى الرغم من تلك المميزات إلا أنها تبقى تحصينات ضعيفة بشكل واضح.

أكدنا أن الموانع التي أحاطت ببابل لم تكن كافية. فهي ضعيفة أمام ضغط الأقوام الجبلية والرعاة المتجولون في الصحاري المجاورة، التي اجتاحت بابل[٥٣]. رغم تلك التحصينات[٥٤]. فالملك سومو– آبوم Sūmû–abum (١٨٩٤ – ١٨٨١ ق.م)، مؤسس السلالة البابلية الأولى، أَرَخَ سنة حكمه الأولى بتشييده سوراً لمدينة بابل عزز من تحصيناتها الدفاعية، بقوله:

"السنة الأولى التي بنى فيها السور العظيم لمدينة بابل"[٥٥].

وتتوالى بعده الأعمال العمرانية لملوك بابل، لتقوية مدينة بابل وحمايتها من الغزوات الخارجية، إذ أدعى الملك سومولئيل Sūmû–la–ll (١٨٨٠ – ١٨٤٥ ق.م)، أنه بنى سور مدينة بابل في سنة حكمه الخامسة، ولكن من المرجح أنه قام بتجديد وتقوية وتعلية قد بنى سور بابل أو وسعه وقواه، وعمل رابع ملوك سلالة بابل الأولى المدعو ابل– سن Apil–Sin سوراً جديداً عالياً لمدينة بابل، وذلك في السنة الثانية من حكمه، وفي السنة السادسة عشر من حكمه بنى البوابة الشرقية في سور بابل، بينما قاد الملك حمورابي حملة عمرانية واسعة ذات أهداف دفاعية، شملت بناء العديد من الأسوار والتحصينات الدفاعية في المدن التابعة له والقريبة من العاصمة بابل بهدف تقويتها وحمايتها من الغزوات الخارجية التي تتعرض لها، وعلى حد قوله:

"لكي يعيش الناس في أمان وطمأنينة"(٥٦).

ذلك ما يشير إلى أن مدينة بابل كانت معرضة لهجمات وغزوات الأقوام والقبائل المجاورة لبلاد الرافدين، مما جعل السكان في حالة من الخوف وعدم الطمأنينة، وفي الوقت ذاته حفز نخبتها الحاكمة (الملوك) على أظهار استجابة ورد فعل مناسب لمستوى تلك التحديات والأخطار المحيطة بهم، من خلال تخطيط المدن وتحصينها.

توصف تحصينات مدينة بابل في العصر البابلي الحديث (٦٢٦ – ٥٣٩ ق.م) على أنها كانت محاطة بخندق مائي واسع، ويلي الخندق سورٌ عالي اسمه (نيمتي– إنليل/ Nimit – Enlil)(٥٧) ، ثم يليه حصن آخر يسمى (امكور – إنليل/ Imgur – Enlil)(٥٨)، وكان أعلى وأكثر سمكاً من سابقه، فضلاً عن سور ثالث يقع بينهما، وبينهما أُقيمت أبراج دفاعية ضخمة(٥٩). ويخبرنا الملك نبو بلاصر Nabopolassar (٦٢٦ – ٦٠٥ ق.م) في كتاباته أنه قام بجملة أعمال عمرانية، حيث أعاد بناء وتجديد أسوارها، وحفر خنادقها بغية تأمينها بوجه الغزاة(٦٠). ومن بعد أبنه نبوخذ نصر الثاني Nebuchadnezzar II (٦٠٤–٥٦٢ق.م) هو الآخر الذي أولى اهتمامه لتحصينات مدينة بابل، وسجل أعماله تلك في النص الآتي:

"وحتى لا تقترب ساحة المعركة من أمكور بيل (إنليل)،
سور بابل عملت شيئاً لم يعمله ملك في السابق وحتى
لا يقترب أبداً العدو عديم الرحمة من منطقة بابل ،
أحطت البلاد بمياه غزيرة مثل امتداد البحر... قويت
دفاعاته وجعلت مدينة بابل تشبه الحصن"(٦١).

ويقول فريتز كريشن عن تحصينات بابل: "من المسلم به أن مدينة بابل أكبر وأحكم مدن الشرق القديم تحصيناً، وأقوى من نينوى"(٦٢). وقد بُولغ كثيراً في عظمة وفخامة أسوار مدينة بابل وتحصيناتها(٦٣).

في الحقيقة أن تحصينات مدينة بابل، لم تكن حائلاً دون الاستيلاء على المدينة العظيمة عدة مرات، ويعود سبب ذلك إلى أن تلك الأسوار شُيدت لأغراض دفاعية فقط وليست للهجوم(٦٤).

قلت حدت ضغط التخوم على بلاد بابل، وذلك بسبب الحماية التي وفرها موقع بابل المحمي(٦٥). الذي أنعكس بدوره على تشكل طباع السكان وطرق عيشهم واتجاهاتهم الفكرية. إذ نجد تركيب البنية النفسية والفكرية للفرد البابلي تتسم بطابعها الديني واللاهوتي والمعرفي، البعيد عن الحرب والروح العسكرية، مما أكسبت بلاد بابل سمة مميزة وطابع خاص في الجانب العمراني والفكري والثقافي إلى غيرها من الجوانب(٦٦).

ثالثاً: ضغط التخوم على بلاد آشور

إن وقوع بلاد آشور على مشارف حدود بلاد الرافدين، جعلها من أقاليم التخوم، بسبب تحديات البيئة الآشورية الجبلية، وشبه الجبلية الصعبة، ومجاورتها لبعض الأقوام الجبلية الهندو–أوربية "الحوريين، الحيثيين، السيثيين، الميديين، الأورارتيين، العيلاميين" التي تسعى دائماً إلى الاندفاع داخل بلاد آشور و مهاجمة مدنها(٦٧). يدفعها إلى ذلك تزايد أعداد سكانها وفقر بيئاتها(٦٨). فضلاً عن الضغط المفرط الذي تعرضت له بلاد آشور من الآراميين(٦٩)، الخصم المخيف طوال القرنين العاشر والحادي عشر ق.م(٧٠).

ومن الجدير بالذكر أن مستوى الضغط الذي سُلط على بلاد آشور اختلف بين جبهة وأخرى، إذ كان متصاعداً ومضاعفاً في بعض الأحيان، وذلك لأن بعض الأقوام المتاخمة لبلاد آشور ممن احتكوا بهم (كالأقوام الجبلية في أرمينيا) قد تحضّروا بالحضارتين البابلية والآشورية، و"استخدموا أسلحتها وفنونها الحربية، فصار النزاع أشد وأعنف في تلك الحالات"(٧١). مما جعل بلاد آشور في حالة دفاع ومتأهبة دائماً من أجل البقاء(٧٢).

وعلى ذلك الأساس تعرض الآشوريون إلى ضغطٍ مضاعفٍ لم يلاقيه البابليون أبداً، وإن تلك التحديات السياسية والسكانية والعسكرية(٧٣). أثرت بشكل أو بآخر في تشكل البنية الذهنية للشخصية الآشورية، إذ امتلك الآشوريون فكراً عسكرياً من الطراز الأول(٧٤). أي إن التحديات البيئية والبشرية، أفرزت استجابة آشورية تمثلت بعسكرة المجتمع وتجذر روح الحرب فيهم، فضلاً عن اكتساب عنصر الحيوية(٧٥). والثقة بالنفس التي ملأت الحوليات الملكية(٧٦). على العكس من النعيم الذي وفره موقع بابل الذي يقع في وسط مراكز العمران في بلاد الرافدين(٧٧). مما أنعكس على طبائعهم وأفكارهم(٧٨).

وبسبب قسوة القبائل الجبلية المجاورة لبلاد آشور، أنتجت لدى الآشوريون روحٌ عسكرية من الطراز الأول، حتى إنهم صرفوا اهتماماتهم إلى تشيد المدن والعواصم(٧٩)، ذات الأغراض العسكرية بالدرجة الأولى. وتشير النصوص المسمارية إلى أن الآشوريين استشعروا الخطر المحدق بهم منذ وقتٌ مبكر (منذ عصور فجر

السلالات ٢٩٠٠ – ٢٣٧١ ق.م أو العصر الأكدي ٢٣٧٠ – ٢٢٣٠ ق.م) فأولوا اهتماماتهم نحو تحصين مدنهم وعواصمهم[٨٠]. إذ أدركوا أن ديمومة كيانهم وصموده يتوقف على تكثيف استحكاماهم الدفاعية فضلاً عن بعض الإجراءات اللازمة[٨١]. فاتجهوا نحو مداومة الجهود الإنسانية لرفع مستوى تلك الاستحكامات إلى أعلى مستوياتها، فنجد أقدم إشارة لبناء سور مدينة آشور قبيل نهاية عصر فجر السلالات الثالث أو مطلع العصر الأكدي، في عهد أحد حاكم آشور المبكرين المدعو "أوشبيا أو أشبيا" "Ushpiy"[٨٢]. "باني سور مدينة آشور"[٨٣]، وتستمر النصوص في ذكر أعمال الملوك الآشوريين العمرانية التي تخص جانب الأسوار والتحصينات الدفاعية، ونقرأ في مدونات الملك "شلمنصر الثالث" Shalmaneser III (٨٥٨–٨٢٤ق.م) إنه واصل أعمال الملوك الذين سبقوه أمثال "بوزور آشور، أدد نيراري، توكلتي ننورتا، تجلاثبليزر أبن آشور ريش أيشي"، حيث جدد سور مدينة آشور، من أجل أن تنعم المدينة بالسلام والأمان[٨٤].

بسبب التحديات العسكرية المفرطة التي سلطت على بلاد آشور من قبل الأقوام الجبلية المقيمة على تخومها، جاءت ردة الفعل الآشورية التي تزعمها الملوك بأن شيدوا مدنهم وعواصمهم في كنف الجبال التي وفرت لها سد منيع دون غارات المهاجمين[٨٥]. أي إن أغراضها عسكرية بالدرجة الأساس، ما تبين من ستراتيجية الحركة والانتقال من عاصمة إلى أخرى، إذا يتم الانتقال لأجل الاقتراب من الأقوام الجبلية الشمالية والشمالية الشرقية، وبالتالي السيطرة عليهم أو الحد من تهديداتهم لحدود الدولة الآشورية، إذ انتقل آشور–ناصر–بال–الثاني Ashur–Nasir–Pal–II (٨٨٣–٨٥٩ق.م) إلى كالح (النمرود) بغية الاقتراب من الأقوام الجبلية الشمالية، وبالتالي السيطرة عليهم أو الحد من تهديداتهم لحدود الدولة الآشورية، كما جاء انتقال الملك سرجون الثاني إلى العاصمة الجديدة دور شروكين (خرسباد) للغرض نفسه، فضلاً عن عنايتهم الكبيرة بتحصينها وإحكامها[٨٦]، بشكل يصعب على المعتدين النيل منها[٨٧].

انعكس أثر الموقع الجغرافي ومسألة ضغط التخوم على بلاد آشور في تكوين الشخصية العسكرية وتشكل البنية الذهنية الصلبة للفرد الآشوري، ويتضح ذلك في مختلف المجالات، أولها تجذر روح الحرب وتعدد فنون القتال وأساليب التعبئة العسكرية وصناعة معدات القتال المختلفة، إذ انعكست الروح العسكرية في مختلف نواحي الحياة وأنشطتها، ومنها الجانب الديني، إذ وظف الآشوريين الدين لخدمة انتصاراتهم وشرعنة حروبهم[٨٨]. فنجاحاتهم اعتمدت كلياً على الدعم الإلهي[٨٩].

أخذت حملات الآشوريين العسكرية الكثيرة، وذكر أخبارها حيزاً كبيراً من حولياتهم الملكية[٩٠]. وقد تجسدت الروح العسكرية الآشورية في أساليب الدعاية والحرب النفسية التي مارسها الملوك الآشوريين ضد أعدائهم، بهدف إقناع أقوام الشرق الأدنى بعدم جدوى معارضتهم لآشور[٩١].

اتخذ الآشوريين من الجيش أداةً لإدارة الدولة وفرض سيطرتهم على كافة أنحائها، ومن تلك الأساليب الدعائية الآشورية، إيقاع أشد عقوبات التعذيب والقتل بمناوئيهم من المتمردين ضد سلطتهم، بهدف تقديم العبرة والتحذير وإنزال الرعب في نفوس من يعارض آشور[٩٢]. وذلك ما قام به الملك آشور– ناصر– بال الثاني Ashurnasirpal II (٨٨٣ – ٨٥٩ ق.م)، حينما قام بقطع أيدي وأصابع بعض الأسرى، وسمل عيون بعضهم، وقطع أنوف وآذان البعض الآخر[٩٣]. كذلك الملك سرجون الثاني Sargon II (٧٢١ – ٧٠٥ ق.م)، حينما قبض على أحد المتمردين المانيين، فسلخ جلده وعرضه عليهم[٩٤].

ومن الأساليب الإعلامية الأخرى التي عمد إليها الآشوريين، أطلاق سراح بعض الأسرى عمداً، حتى ينقلوا ما شاهدوه من مشاهد حربية مروعة إلى موطنهم لُيبث الرعب في نفوسهم[٩٥]. فضلاً عن أسلوب أخر مهم للغاية، تمثل في"حصار المدن"، لفترات طويلة وبث الدعاية والخطاب الإعلامي، والتفاوض مع بعض العناصر المنشقة، وتشجيعهم على الهجرة أو الهروب إلى جانبهم، عن طريق إغرائهم بتقديم الهدايا والمكافئات[٩٦]. مما يُؤثر سلباً في نفوس الأقوام المحاصرة والقابعة خلف الأسوار، وبالتالي زعزعة الثقة في داخلهم وتفكك جبهتهم الداخلية[٩٧]. فضلاً عن القسوة والتدمير المفرط الذي أتبعه الآشوريين في معاملة مدن الأقوام المتمردة بعد دخولها، إذ تحرق المدن وتدمر المباني وتدك الأسوار بمستوى الأرض، وتخرب المزارع وتُحمل الغنائم، فضلاً عن تهجير السكان المهزومين[٩٨]. ومن الجدير بالذكر أن تلك المعاملة السيئة والقسوة تُصب على المدن التي يتكرر عصيانهم مرة ثانية[٩٩].

جَسَدَ الآشوريين كل أساليب وفنون الدعاية والإعلام الحربية باستخدام أسلوب الخطاب الإعلامي المصور. إذ سخر الآشوريين عقيدتهم الإيديولوجية السياسية من خلال المشاهد الفنية المصورة على جدران قاعات الاستقبال داخل القصور تحكي مشاهد استقبال الملوك للوفود الصديقة والتي لديها خلافات سياسية وعسكرية مع الآشوريين[١٠٠]. ومن أهم المشاهد الفنية التي نفذت على الألواح الجدارية داخل القصر الآشوري، كانت المشاهد الحربية وقتل الأسرى وقطع رؤوسهم[١٠١]، من قبل الجنود الآشوريون،فضلاً عن مشاهد حصار المدن[١٠٢]. لاسيما ما وجد منها في قصور نمرود ونينوى وخرسباد[١٠٣].

ومن الجدير بالذكر أن تلك المنحوتات الجدارية ذات المشاهد الحربية، ومشاهد الصيد التي أنجزها الملوك الآشوريين، فضلاً عن منحوتات الكائنات الأسطورية (الثيران المجنحة والكائنات البشرية المجنحة) التي زينت مداخل القصور الآشورية[١٠٤]، تُمثل خطاباً إعلامياً مصوراً[١٠٥]. يُبرز قوة الملك الآشوري وثقته بنفسه[١٠٦]. ويستهدف شحذ أذهان الحكام والسفراء والوفود وإنزال الرعب والخوف والطاعة في نفوسهم[١٠٧]، وإشعارهم بالقوة الآشورية العسكرية، بدليل أن تلك المشاهد الحربية كانت تزين جدران قاعات الاستقبال الملكية، بينما نجد المشاهد الدينية أو الاحتفالية تزيد جدران الغرف الداخلية للقصر الآشوري[١٠٨].

"تلك الأعمال الفنية، كانت رسائل موجهة لإبلاغ الطرف الآخر بكل ما يمثل إظهار القوة والعظمة، وبذلك مثل خطاباً سياسياً بحتاً اتصف بالنضوج الذي وصل إليه طرح الفكر من خلال تلك اللغة الرمزية، ذات التأثير الكبير على الوفود الصديقة والعدوة، فذلك الخطاب يعطي طابعاً خاصاً مميزاً في أن يجعل الصديق يوطد علاقته مع الآشوريين بشكل أفضل من السابق، أما العدو فله النصيب الأكبر من ذلك الخطاب الذي أكد دوماً قوة وقسوة الآشوريين تجاه أعدائهم وإن حوت المبالغة"(١٠٩).

برع الآشوريين في النحت البارز دون غيره، وعنوا بتمثيل المواضيع الملكية الدنيوية أكثر من المواضيع الدينية، ويقول الأستاذ طه باقر: "استخدم الفن الآشوري لأغراض الدعاية الملكية لإحداث الخوف والرعب والطاعة في قلوب من يشاهدونه عن عظمة الملك وقدرته وجبروته وبطشه، فأصبح بذلك فناً رسمياً إمبراطورياً، موضوعه الأساسي التعبير عن فكرة الملك الفاتح المنتصر"(١١٠).

لم تكن التحصينات الدفاعية والكتابات الملكية المسمارية والنتاجات الفنية الشاهد والمصدر الوحيد على قوة وصلابة الشخصية الآشورية، وقسوتها المفرطة في التعامل مع أقوام الشرق الأدنى المغلوبة، بل انعكست تلك الشخصية والبنية الذهنية الصلبة في كتابات وتراث الأقوام الأخرى، وحفظتها ذاكرة الأجيال لتدون وتصبح شاهداً على تلك الممارسات.

إحدى أهم المصادر المعاصرة للآشوريين، التوراة التي جسدت انعكاس عنف وقسوة الشخصية الآشورية في أكثر من موضع، فتصف نينوى بعبارات الظلم والقسوة والطغيان:

"ويلٌ للمدينة سافكة الدماء، الممتلئة كذباً،

المكتظة بالغنائم المنهوبة، التي لا تخلوا

أبداً من الضحايا،...لقد استعبدت الشعوب"(١١١).

من الجدير بالذكر أن ما ذكرته التوراة، تلك أقاويل واتهامات رمى بها أنبياء اليهود الإمبراطورية الآشورية(١١٢). وما ورد في الكتابات الملكية الآشورية والمنحوتات الأثرية، "لا يمكن التسليم بها على أنها حقائق تاريخية كاملة"، بل أن تلك القسوة والفظائع التي دونها الآشوريين لم تكن إلا أسلوباً من أساليب الحرب النفسية والدعاية الإعلامية التي عمد إليها الآشوريين لإنزال الخوف في نفوس أقوام الشرق الأدنى وضمان طاعتها، والدليل على ذلك ما تضمنته الكتابات الملكية الآشورية من عبارات التسامح والمساواة في الحقوق الواجبات بين الشعوب الخاضعة والشعب الآشوري:

"اعتبرتهم ضمن بلاد آشور"

وكذلك:

"اعتبرتهم ضمن أتباع آشور سيدي"(١١٣).

غالباً ما يوصف الآشوريين من قبل المؤرخين والمختصين في حقل التنقيب في الحضارات القديمة، على إنهم أمة قاسية لا يرحمون أحد. ومن رأي المنقب النمساوي الشهير ماكس مالوان (Max Mallowan) في طبيعة الأمة الآشورية: "وقد كان الآشوريون الذين اكتسبوا سمعة غير جيدة بسبب دعايتهم التي تمجد المعاملة القاسية لأعدائهم، أذكياء جداً ويفهمون سجية الرحمة التي كثيراً ما أظهروها بحكمة، وهكذا فأن السمعة التي اكتسبوها لم تكن منصفة، إذ إنهم لم يكونوا أكثر قسوة من شعوب زمانهم، ولاشك في إنهم لم يكونوا أكثر قسوة من أمم عظيمة في العصر الحاضر"[١١٤].

الاستنتاجات:

١. مَثَلَ حافز ضغط التخوم (حافز الضغوطات) أحد أهم التحديات والحوافز التي دفعت البابليين والآشوريين وحفزتهم إلى إظهار أرقى الاستجابات التي تكفل لهم قيام الحضارة ونموها واستمرارها.

٢. أدرك العراقيون القدماء أن التحديات الطبيعية والبشرية تُمثل خطراً مستديم، ومن الواجب عليهم رفع مستوى الاستجابة، بإقامتهم الأسوار والتحصينات الدفاعية، فضلاً عن إيجاد قوة ضاربة تدفع عنهم الأخطار، لذا جاءت الاستجابة باهتمامهم الملحوظ بالمؤسسة العسكرية منذ وقت مبكر، مما أسهم وبشكل كبير في درء الأخطار عن البلاد، وأن حضارة بلاد الرافدين ازدهرت في كنف الجيش.

٣. مثلت مسألة التخوم وضغطها، محدداً لما آلت إليه أوضاع مدن بلاد بابل وآشور، إذ أسهمت في بلورة أفكارهم بشكل معين تبعاً لما سيكون عليه الجيران.

٤. اختلف ضغط التخوم بين بابل وآشور، واختلفت معه النتائج التي انعكست على تكون الشخصية وطبيعة تفكيرها، وبالتالي أصبح لكل منها طابعها الحضاري المميز، فبلاد بابل نشأة ونمت وازدهرت في بيئة ذات موقع محمي إلى حد ما، قلت معه حدت ضغط التخوم، مما اكسبها طابع ديني ولاهوتي ومعرفي، ولم تكن عسكرية أو نظامها عسكري كما الحال مع بلاد آشور التي نالت نصيباً كبيراً من الضغط المتواصل من قبل الأقوام الجبلية الشرسة، مما أضطرها إلى أن تصبح دولة عسكرية بامتياز.

٥. إن حافز الضغوطات يُكسب كل حضارة طابعها الخاص والمميز لها عن باقي الحضارات الأخرى، في مختلف جوانب الحياة الفكرية والدينية والعمرانية والثقافية والعلمية، إلى غيرها من العناصر الحضارية الأخرى، إذ يصحبها ذلك التمايز منذ النشأة ويستمر معها عبر مرحلتي النمو والاختلاف في تقرير المصير حتى مرحلة الانحلال والزوال (الانهيار).

الهوامش:

(1) Oppenheim . A. Leo and Others, The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, CAD, (Chicago –2006), Vol.18, p 56; Black, Jeremy and Others, A Concise Dictionary of Akkadian, CDA, (Wiesbaden – 2000), P 394.

(2) Dictionary Oxford Word Power, Second Edition, (New York – 2006), P 318.

(٣) كريستين نصار، الإنسان والجغرافيا (أثر الجغرافيا وتأثيرها بسيكولوجية الفرد)، ط١، جروس برس، (طرابلس/لبنان – ١٩٩١م)، ص٢٩.

(٤) جوردون إيست، الجغرافيا توجه التاريخ، ترجمة جمال الدين الدناصوري، دار الهلال، (القاهرة – د.ت)، ص١٠٥.

(٥) المصدر نفسه، ص١٠٥.

(٦) كريستين نصار، الإنسان والجغرافيا...، ص ص٢٨-٢٩.

(٧) محمد صبري، عمارة البيوت...، ص٩.

(٨) ليلى بنت صالح زعزوع، مقدمة في الجغرافية الاجتماعية، الدار العربية للعلوم، (بيروت – ٢٠٠١م)، ص٤.

(٩) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل – ١٩٩٣م)، ج١، ص٢٠.

(١٠) "إذا أمعنا النظر فسنجد إن الموقع ليس فكرة ثابتة فحسب، ولكنها نسبية أيضاً، لأن الناس عاشوا دائماً في عالم متغير، ولذلك فان موقع المكان عامل جغرافي متغير وثابت في وقت واحد، فهو يمثل حقيقة طبيعية في ناحية من نواحيه فقط، ونعني بكلمة طبيعية إنه خُلق كذلك ولم يكن معرضاً للتغيير، ولما كان الموقع يعد شيئاً متغيراً لعلاقته بالعالم المتغير، فانه لابد أن يقوم تقييماً صحيحاً خلال عصور التاريخ المختلفة". جوردون إيست، الجغرافيا توجه التاريخ، ص٢٥.

(١١) تتصل بلاد الرافدين بآسيا الصغرى من جهة الشمال، وبالخليج العربي من الجنوب، وذلك عن طريق نهري دجلة والفرات اللذين يؤلفان طريق جامع بين تلك المناطق، ويمتد الحوض الذي يشكله النهرين إلى مرتفعات بلاد عيلام وجبال زاكروس شرقاً، وتحده من الغرب الصحاري المفتوحة على بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية.

Титаренко. Инна, ИСТОРИЯ КУЛЬ ТУРЫ ДРЕВНЕГО ВОСТОКА, (Таганрог – 2010), p 40.

(١٢) جاسم محمد الخلف، محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، ط٢، مطبعة لجنة البيان، (القاهرة – ١٩٦١م)، ص٧.

(١٣) الشرق الأدنى: يشمل منطقة الشرق الأدنى القديم ثقافات مختلفة، ويحتوي على مساحة كبيرة ومتنوعة من المناطق الطبوغرافية والمناخية كالسهول الغرينية والمرتفعات والجبال والصحاري والأنهار، وهناك عدة آراء ناقشت مصطلح الشرق الأدنى القديم جغرافياً، وللاطلاع أكثر أنظر: طالب منعم حبيب الشمري، الوضع السياسي في الشرق الأدنى القديم بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦م، ص ص١-٦.

(14) John. M. Weeks, Jason De Medeiros, A Research Guide to The Ancient World, (New York – 2015), p 1.

(١٥) أنظر: ملحق رقم (١).

(١٦) حسين الاعرجي، جذور الفكر في العراق القديم وروافده، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١١م، ص٥١.

(١٧) علي أحمد هارون، أسس الجغرافية السياسية، ط١، دار الفكر العربي، (القاهرة – ١٩٩٨م)، ص ص٤١-٤٢.

(١٨) الجيوبولتيكس (Geopolitics): علم أو نظرية التطورات السياسية من حيث علاقاتها بالأرض، صاغه العالم السياسي السويدي رودولف كيلان (Rudolf Kjellen) عام ١٨٩٩م، والجيوبولتيكس مصطلح يتكون من مقطعين الأول "Geo" ويعني الأرض، و"Politics" ويعني أمراً يتعلق بالدولة وعلى وجه الأخص سياستها الأرضية. للمزيد أنظر:
Gearóid Ó Tuathail and Othres, The Geopolitics Reader, (London and New York - 1998).

(١٩) جوردون إيست، الجغرافيا توجه التاريخ، ص٣٨.

(٢٠) عبد العزيز إلياس سلطان، أثر البيئة الطبيعية في تاريخ وحضارة بلاد الرافدين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٠م، ص٥٣.

(٢١) جورج سارتون، تاريخ العلم، ترجمة إبراهيم بيومي وآخرون، ط٣، دار المعارف بمصر، (القاهرة – ١٩٧٦م)، ج١، ص١٤٦.

(٢٢) تقي الدباغ، البيئة الطبيعية والإنسان، حضارة العراق، دار الحرية، (بغداد – ١٩٨٥م)، ج١، ص ص١٧-٢٠.

(٢٣) من الجدير ذكره أن الجهات الغربية لبلاد الرافدين تشكل امتداد طبيعي لهضبة جزيرة العرب وبلاد الشام. للمزيد انظر: عبد الكريم عبد، ملامح الوجود السامي في جنوبي العراق قبل تأسيس الدولة الأكدية، مجلة سومر، عدد (١-٢)، بغداد ١٩٧٤م، ص٦٢.

(٢٤) طه باقر وآخرون، تأريخ العراق القديم، مطبعة جامعة صلاح الدين، (صلاح الدين-١٩٨٧م)، ج١، ص١٤.

(٢٥) طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ط١، دار الوراق، (بيروت – ٢٠١٠م)، ص١٩٧.

(٢٦) عبد العزيز الياس، أثر البيئة الطبيعية...، ص٦٥.

(٢٧) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، ج١، ص٢١.

(٢٨) عبد العزيز الياس، أثر البيئة الطبيعية...، ص ص٢٥-٢٦.

(٢٩) حسين الاعرجي، جذور الفكر...، ص ص٥٢-٥٣.

(30) Edwyn Bevan, The Land of the Two Rivers, (London – 1918), p20.

(٣١) محمد طه محمد الاعظمي، الأسوار والتحصينات الدفاعية في العمارة العراقية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٢م، ص١.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ص٤٧-٥٠.

(٣٣) أقدم وأول خندق دفاعي عثر عليه في بلاد الرافدين، يعود إلى الألف السادس ق.م تحديداً من موقع تل الصوان. قحطان رشيد صالح، الكشاف الأثري في العراق، المؤسسة العامة للآثار والتراث، (بغداد – ١٩٨٧م)، ص١٠٨.

(٣٤) للمزيد أنظر: محمد طه الأعظمي، الأسوار والتحصينات...، ص ص١٥٨-١٩١.

(35) Edwyn Bevan, The Land of the Two Rivers, p20.

(٣٦) خالص الاشعب، تخطيط المدن القديمة في وادي الرافدين، مجلة المؤرخ العربي، عدد (٨)، بغداد ١٩٧٤م، ص ص٨٢-٨٣.

(٣٧) حول الأسوار والتحصينات الدفاعية الطبيعية والمصطنعة للمدن العراقية القديمة أنظر: محمد طه الاعظمي، الاسوار والتحصينات...؛ عبد الرحمن يونس عبد الرحمن، المياه في حضارة بلاد الرافدين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٠م، ص ص٢٢٠-٢٣٣.

(38) Stephen Bertman, Hand Book to Life in Ancient Mesopotamia, (New York – 2003), PP 201-202.

(٣٩) غولايف، المدن الأولى، ترجمة طارق معصراني، دار التقدم، (موسكو – ١٩٨٩م)، ص٦٩.

(٤٠) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، ج١، ص١٥٨.

(41) Stephen Bertman, Hand Book to Life…, P 173.

(٤٢) محمد طه الاعظمي، الأسوار والتحصينات...، ص ص٣٥-٣٦.

(٤٣) بابل: وتعني "باب الإله أو الآلهة". للتفصيل حول أسم مدينة بابل انظر:

E. A. Wallis Budge, Babylonian Life and History, (New York – 2005), PP 18-19.

ويقول توينبي: إنها الباب الذي دخل من خلاله الأموريون إلى أرض السهل الرسوبي. بحث في التأريخ، اختصر المجلدات الستة الأولى د. سي. سمرفل، ترجمة طه باقر، ط١، دار الوراق، (بيروت-٢٠١٤م)، ج١، ص٢٢٢.

(٤٤) تُشير التنقيبات الأثرية إلى وجود مستوطن في موضع بابل، يعود إلى عصور ما قبل التاريخ (حدود ٤٠٠٠ ق.م). طه باقر، بابل وبورسبا، مطبعة الحكومة، (بغداد – ١٩٥٩م)، ص٢؛ قحطان رشيد، الكشاف الأثري...، ص١٩٣؛ أما أول إشارة تاريخية إلى مدينة بابل فتعود إلى زمن سلالة أور الأولى، إذ ورد ذكرها على كسرة من حجر الكلس، مدونة باللغة الأكدية. أياد كاظم داود السعدي، طبوغرافية المدن الدينية والدينية – السياسية (نفر ، بابل ، آشور) في العراق القديم(منذ الألف الثاني حتى سقوط بابل ٥٣٩ ق.م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٢م، هامش رقم (١) ص١٥٥.

(٤٥) إبراهيم شريف، الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي،مطبعة شفيق، (بغداد – د.ت)، ج٢، ص ص١٠٦-١٠٧.

(٤٦) ابتهال عادل الطائي، أضواء على الفكر الجغرافي القديم في واد الرافدين، مجلة آفاق الثقافة والتراث، عدد (٥٦)، دبي ٢٠٠٧م، ص١٣٨.

(٤٧) أمل مخائيل بشور، تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل وآشور، المؤسسة الحديثة للكتاب، (طرابلس – ٢٠٠٨م)، ص٨١.

(٤٨) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢، دار الوراق، (بيروت – ٢٠١٢م)، ج١، ص٦٢١.

(٤٩) إبراهيم شريف، الموقع الجغرافي...، ج٢، ص١٠٧.

(٥٠) محمد السيد غلاب، البيئة والمجتمع، ط١، دار المصرية للطباعة، (الإسكندرية – ١٩٥٥م)، ص ص٣٣٢-٣٣٣.

(٥١) توينبي، بحث في التاريخ، ج١، ص٢٢٢.

(٥٢) أنظر: ملحق رقم (٢).

(٥٣) علي أحمد، أسس الجغرافية...، ص٣١.

(54) Stephen Bertman, Hand Book to Life…, p14.

(٥٥) أياد السعدي، طبوغرافية المدن...، ص١٧٢.

(٥٦) محمد طه الاعظمي، حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م)، وزارة الثقافة والإعلام، (بغداد – ١٩٩٠م)، ص١٢١.

(٥٧) معناه عرش الإله إنليل. هديب حياوي غزالة، الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦ – ٥٣٩ ق.م)، ط١، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق – ٢٠٠١م)، ص٢١٠.

(٥٨) معناه إنليل أرتفع أو علا. حياة إبراهيم محمد، نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤ – ٥٦٢ ق.م)، دار الحرية، (بغداد – ١٩٨٣م)، ص١٠٣.

(٥٩) طه باقر، بابل وبورسبا، ص٤؛

Strabo, The Geography of Strabo, Vol. 7, PP 197-199.

(60) Wallis Budge, Babylonian Life and History, PP 20-21.

(٦١) أياد السعدي، طبوغرافية المدن...، ص١٧٤.

(٦٢) عجائب الدنيا في عمارة بابل، ترجمة صبحي أنور رشيد، ط٢، المؤسسة العامة للأثار والتراث، (بغداد – ١٩٨٢م)، ص٣٢.

(٦٣) هديب حياوي، الدولة البابلية الحديثة، ص ص٢٠٩-٢١٠.

(٦٤) عجائب الدنيا في عمارة بابل، ص٤٧.

(٦٥) توينبي، بحث في التاريخ، ج١، ص٢٢٢.

(٦٦) للمزيد حول الأطر الروحية التي اكتسبتها الشخصية البابلية أنظر: كلشكوف، الحياة الروحية في بابل، ترجمة عدنان عاكف حمودي، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، (دمشق – ١٩٩٥م)؛ مارغريت روثن، علوم البابليين، ترجمة يوسف حبي، دار الرشيد، (بغداد – ١٩٨٠م).

(٦٧) طارق عبد الوهاب مظلوم، النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث، حضارة العراق، دار الحرية، (بغداد – ١٩٨٥م)، ج٤، ص٦٦.

(٦٨) عبد العزيز الياس، أثر البيئة الطبيعية...، ص٦٥.

(٦٩) الآراميون (The Aramaeans): أحدى فروع الأقوام السامية الغربية، التي استوطنت بوادي الشام وأرض الجزيرة الواقعة في الأجزاء الشمالية لبلاد الرافدين، تمكنوا من التغلغل إلى بلاد الرافدين وأقاموا لهم كيانات سياسية في بلاد بابل، لكن تبقى أشهر كياناتهم السياسية في بلاد الشام، حيث قامت لهم عدة دويلات مدن أشهرها آرام دمشق وآرام نهرايم وآرام صوبا، وغيرها من الدويلات. للمزيد أنظر:

Edward Lipinski, The Aramaeans (Their Ancient History, Culture, Religion), (Paris – 2000).

(٧٠) توينبي، بحث في التاريخ، ج١، ص ص٢٢٢-٢٢٣.

(٧١) المصدر نفسه والجزء، ص ص٢٢٣-٢٢٤.

(٧٢) ماكس مالوان، مذكرات مالوان، ط١، منشورات الجمل، (بغداد – ٢٠١٤م)، ص٨٩.

(٧٣) قيس حازم توفيق، العواصم الآشورية، دراسة تاريخية في طبيعة المدينة الآشورية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٨م، ص١٨٢.

(٧٤) للمزيد أنظر:

Титаренко. Инна, ИСТОРИЯ КУЛЬ ТУРЫ ДРЕВНЕГО ВОСТОКА, p 45.

(٧٥) عبد العزيز الياس، أثر البيئة الطبيعية...، ص٦٣.

(٧٦) هاري ساكز، قوة آشور، ص٣٧٤.

(٧٧) السيد غلاب، البيئة والمجتمع، ص ص ٣٣٢-٣٣٣.

(٧٨) قيس حازم، العواصم الآشورية...، ص١٨٢.

(٧٩) من الجدير بالذكر إن نواة المدن والعواصم الآشورية (القصر والمعبد) كانت تقام في أعلى موضع من المدينة، ومن هذه المدن "آشور، نينوى، وكالح، دورشروكين". للمزيد أنظر: محمد طه الاعظمي، الأسوار والتحصينات...، ص ص٤٣-٤٤. وهذا النمط من التخطيط العمراني نجده في المدن الإغريقية "المدينة الحرة – Polic"، إذ كان نواة الحكم (الاكروبوليس) يقام أيضاً في أعلى موضع من الدينة. حول نمط تخطط دولة المدينة الإغريقية أنظر: عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، (القاهرة – ١٩٩٨م)، ص٥٤. وعلى هذا الأساس نعتقد بوجود تأثير من حضارة بلاد الرافدين الضاربة بالقدم، وبالتحديد من "بلاد آشور"، على الحضارة الإغريقية لاحقة النشوء.

(٨٠) محمد طه الاعظمي، الأسوار والتحصينات...، ص ص١٧٤-١٧٥.

(٨١) حمد حمودي حسين، التحصينات الدفاعية في العاصمة الآشورية (في ضوء تحصينات مدينة نينوى)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٠م، ص٢٠٧.

(٨٢) هيرودا بارثيل، طوبوغرافية آشور، مجلة سومر، مج ٣٥، بغداد ١٩٧٩م، ص٢٧٩.

(٨٣) هناك من يذكر إن الحاكم الآشوري "كيكيا" هو اول من شيد أسوار مدينة آشور. حمد حمودي، التحصينات الدفاعية...، ص١٢١.

(٨٤) للمزيد حول التحصينات الآشورية وذكرها في المصادر المسمارية أنظر: محمد طه الاعظمي، الأسوار والتحصينات...، ص ص١٧٤-١٨٦.

(٨٥) غوستاف لوبون، حضارة بابل وآشور، ترجمة محمود خيرت، دار الرافدين، (بيروت – د.ت)، ص١٣.

(٨٦) حول استحكامات الآشوريين وإجراءاتهم الدفاعية انظر: فالتر أندريه، استحكامات آشور، ترجمة عبد الرزاق كامل الحسن، المؤسسة العامة للآثار والتراث، (بغداد – ١٩٨٧م).

(٨٧) قيس حازم، العواصم الآشورية..، ص ص١٩٥-١٩٦.

(٨٨) للمزيد حول الروح العسكرية الآشورية وانعكاساتها أنظر:

Tamás Dezső, The Assyriay Army (I Thestructure of the Neo-Assyrianarmy as Reconstructed from the Assyrian Palace Reliefs and Cuneiform Sources), (Budapest - 2012).

(٨٩) هاري ساكز، قوة آشور، ص٣٧٤.

(٩٠) معاذ حبش خضر العبادي، الحوليات الملكية في العصر الآشوري الحديث (دراسة تحليلية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٦م، ص١٥٨.

(٩١) أزهار هاشم شيت، الدعاية والإعلام في العصر الآشوري الحديث (٩١١ – ٦١٢ ق.م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٠م، ص١٢٥.

(٩٢) هاري ساكز، قوة آشور، ص ص٣٥٣-٣٥٤.

(٩٣) يوسف خلف عبد الله، الجيش والسلاح في العهد الآشوري الحديث (٩١١ – ٦١٢ ق.م)، ط١، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد – ١٩٧٧م)، هامش رقم (١) ص٣١١.

(٩٤) هاري ساكز، قوة آشور، ص ص٣٥٣-٣٥٤.

(٩٥) فاضل عبد الواحد علي، فاروق ناصر الراوي، دراسة مركزة في نقاط للفكر العسكري العراقي القديم ، ص١٦٩.

(٩٦) يوسف خلف، الجيش والسلاح...، ص ص٢٥٨-٢٥٩

(97) A. T. Olmstead, History of Assyria, (Chicago – 1960), P 396.

(٩٨) ديلابورت، بلاد ما بين النهرين (الحضارتان البابلية والآشورية)، ترجمة محرم كمال، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة – ١٩٩٧م)، ص ص٢٨٤-٢٨٩.

(٩٩) يوسف خلف، الجيش والسلاح...، ص٢٥٨.

(١٠٠) حسين سيد نور جلال الاعرجي، الخطاب السياسي في العراق القديم (٣٠٠٠ – ٥٣٩ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠٠٥م، ص ص٦٤-٦٥.

(١٠١) كانت المشاهد الفنية تظهر أسرى وقتلى العدو عراة أو أنصاف عراة.

Mehmet. Ali. Ata, The Mythology of Kingship in Neo-Assyrian Art, (Cambridge – 2010), P 3.

(102) Ibid, 63.

(١٠٣) طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ج١، ص٥٩٢.

وللمزيد حول المنحوتات الجدارية في القصور الملكية الآشورية، وموضوعاتها الدعائية أنظر:

Mehmet. Ali. Ata, The Mythology of Kingship…, PP 3-82.

(١٠٤) تلك الكائنات الأسطورية مزيجاً مركباً من الخيال الأسطوري والدراما الدينية، وقد لعبت دور الملاك الحارس في مداخل القصور الآشورية، إذ كثر نحتها في العصر الحديث (٩١١ – ٦١٢ ق.م)، وكانت ذات أوزان كبيرة يصل الواحد منها خمسون طناً، لتمثل رمز العظمة الآشورية. للمزيد أنظر: حكمت بشير الأسود، الثور المجنح (لاماسو رمز العظمة الآشورية)، ط١، المركز الثقافي الآشوري، (دهوك – ٢٠٠١م).

(١٠٥) زهير صاحب، سلمان الخطاط، تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين، بلا، ص ص١٩٦–١٩٨.

(١٠٦) هاري ساكز، قوة آشور، ص٣٧٤.

(١٠٧) وليد محمد صالح فرحان، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٦م، ص١٣٢.

(١٠٨) هاري ساكز، قوة آشور، ص ص٣٥٢–٣٥٣.

(١٠٩) حسين الاعرجي، الخطاب السياسي...، ص٦٥.

(١١٠) طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ج١، ص٥٩٥.

(١١١) العهد القديم، سفر ناحوم: الإصحاح: ٣.

(112) A. T. Olmstead, History of Assyria, P 645.

(١١٣) وليد محمد، العلاقات السياسية للدولة...، ص ص١٣٦–١٣٩.

(١١٤) ماكس مالوان، مذكرات مالوان، ص١٠١.

ملحق رقم (١)

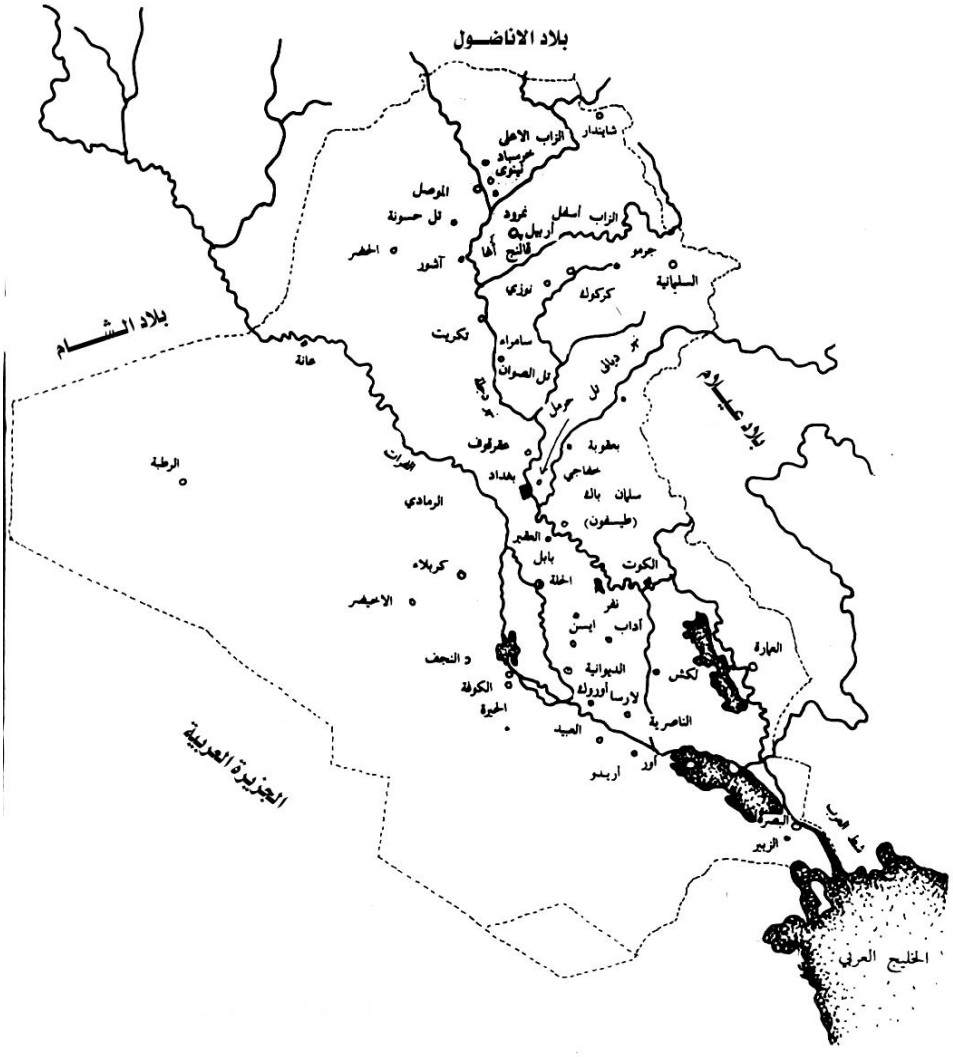

المصدر: هاري ساكز، قوة آشور، ترجمة عامر سليمان، المجمع العلمي، (بغداد – ١٩٩٩م)، ص١٦.

ملحق رقم (٢)

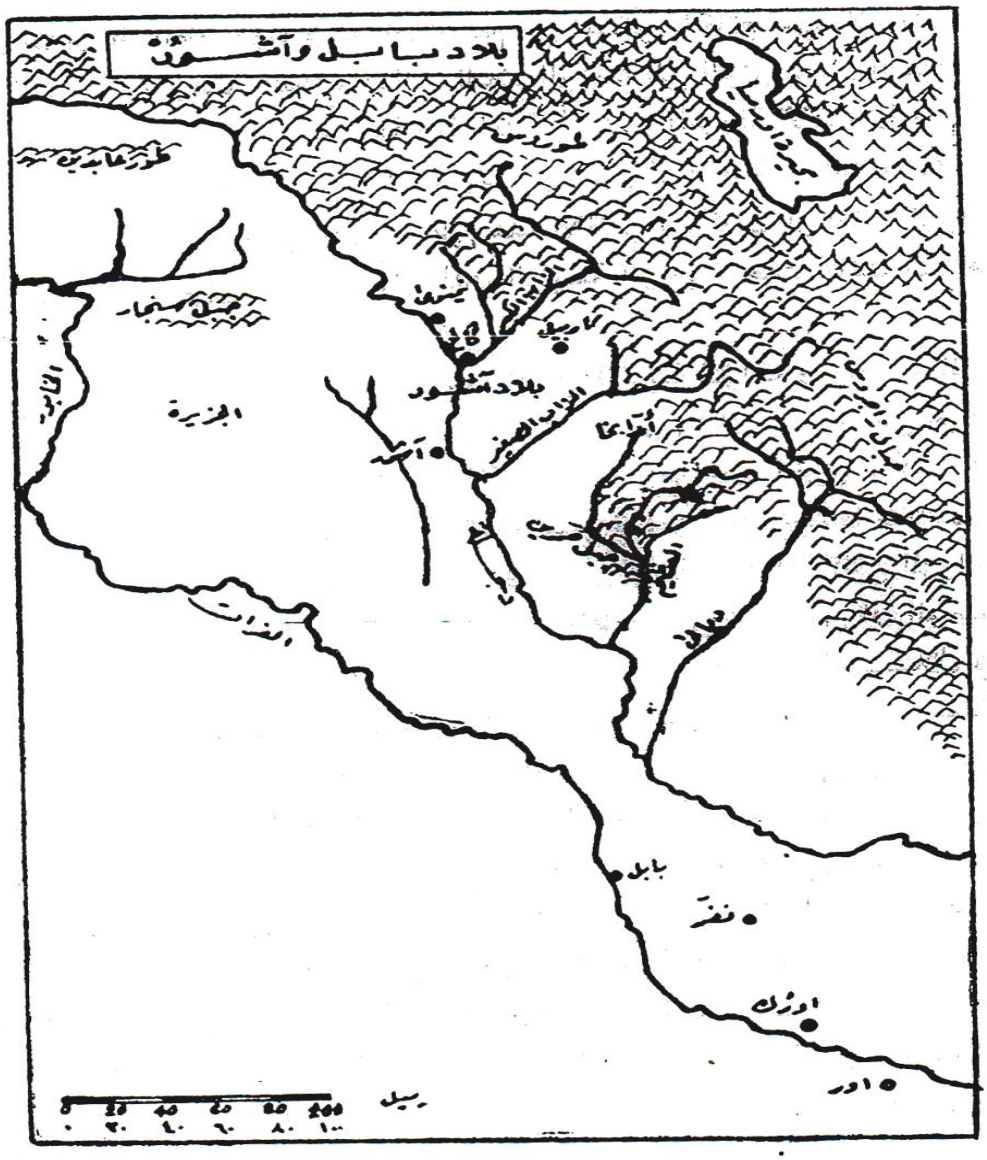

المصدر: حسن النجفي، التجارة والقانون بدءا في سومر، (بغداد – ١٩٨٢م).